مجلة فصلية محكمة تعنى بالبحوث والدراسات اللغوية والتربوية

الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة قسم
الإعلام – دار اللغة والادب العربي
رقم الإيداع في دار الوثائق
العراقية ١٩٦٣ لسنة ٢٠١٤

www.dawat.imamhussain.org
E-mail: daralarabia@imamhussain.org
mob: +9647827236864 — +96447721458001

كسرُ أفق التوقع في
خُطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)

Shattering the “Horizons of Expectation” in Fatimah Al – Zahra’s (a.s.) Sermon

أ.م.د. طلال خليفة سلمان
كلية التربية للبنات / جامعة بغداد

Dr.Talal Kalifa Salman
College of Education for Women, University of Baghdad

ملخص البحث

يكشف البحث عن ماهية مفهوم كسر أفق التوقع الذي يعد من المفاهيم المهمة التي طرحها الألماني (هانز روبرت ياوس)، والذي يعدّ هو ومواطنه (وولفجانج إيزر) قطبي نظرية التلقي التي نشأت في أحضان مدرسة كونستانس الألمانية، فهذا المفهوم بمقدوره أن يفعّل علاقة المتلقي مع النص، ويسعى إلى أن تكون هذه العلاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص، بدل أن تكون هذه العلاقة أحادية من النص إلى القارئ فقط.

فقد توصل البحث إلى أن ثمة ثلاثة أنواع من كسر أفق التوقع، هي كسر أفق التوقع الاجتماعي، والموضوعي، والأسلوبي، فقد رصد البحث آلية كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء (ع) وظهر بشكل جلي وواضح بوساطة تقنية التقديم والتأخير، في حين ظهر بشكل قليل عن طريق الحذف والذكر، أما التقديم والتأخير فقد ظهر عبر تقديم الجار والمجرور على المفعول به، وعلى الفاعل، وعلى الخبر وهي أساليب لم تكن مطروقة قبلئذٍ.

Abstract

The research unveils the concept Horizons of Expectation originated from Hans Robert Jauss.He and his countryman , Wolfgang Iser , were notable for the reception theory which was founded in German Constance School. This concept emphasizes that the meaning of a text is not inherent within the text itself, but is created by the relationship between the text and the reader, that is on the text-reader relationship. The text remains incomplete without the reader.

The study has founded three types of horizons of expectation in Fatimah Al – Zahra's sermon: social , objective , and stylistic . The tendency of shattering the horizons of expectation is notably clear in this sermon through the technique of putting first and putting last , while it is not much clear in the technique of omission and inclusion.

المقدمة

مفهومُ كسر أفق التوقع من المفاهيم المهمة التي طرحها الألماني (هانز روبرت ياوس)، الذي يعدّ هو ومواطنه (وولفجانج إيزر) قطبي نظرية التلقي التي نشأت في أحضان مدرسة كونستانس الألمانية، فهذا المفهوم بمقدوره أن يفعّل علاقة المتلقي مع النص، ويسعى إلى أن تكون هذه العلاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص، بدل أن تكون هذه العلاقة أحادية من النص إلى القارئ فقط.

سنحاولُ في هذا البحث أن نطبق مفهوم كسر أفق التوقع على خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)، وهو يمثل منهجنا في تطبيق مناهج تحليل النصوص الحديثة وآلياتها الكثيرة والمتنوعة على النصوص التراثية؛ إيمانا منّا بأن تراثنا العربي فيه من العمق والشمول، وتنوّع النصوص وغزارتها ودقتها وأهميتها ما يمثل حافزاً مهماً لنا لكي نحاول تأصيل بعض المفاهيم من تراثنا الثر، ولكي نزاوج بين التراث والحداثة، ولاسيما بعد التطوّر المطّرد في المناهج النقدية الحديثة، النصية منها، وما بعد النصية.

احتوى البحث على مقدّمة نظرية عن نظرية التلقي، ومفهوم أفق التوقع، والمسافة الجمالية، وصولا إلى مفهوم كسر أفق التوقع الذي سيكون المجال التطبيقي للدراسة، وبعد المقدمة انقسم البحث على ثلاثة أقسام هي كالآتي:

١. كسر أفق التوقع الاجتماعي.

٢. كسر أفق التوقع الموضوعي.

٣. كسر أفق التوقع الأسلوبي.

وذيّلنا البحث بخاتمة ذكرنا فيها النتائج التي توصّلنا إليها.

إنّ خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) من الخطب المهمة في تأريخ الخطابة العربية بشكل عام، وفي تأريخ الخطابة النسوية بشكل خاص، إذ إنها تعدّ من النصوص المبكرة التي تؤسس لتأريخ الخطابة النسوية في تأريخ الأدب العربي، فضلا عن أنّها تظهر بلاغة المرأة في تلك الفترة من التأريخ، وقدرتها على الخروج والخطابة والاحتجاج في ذلك المجتمع الذكوري، الذي كان يحرم المرأة من بعض حقوقها؛ ولاسيما حقها في بيان رأيها صراحةً أمام المجتمع، وقيامها بكشف بعض الأدواء الاجتماعية التي كانت سائدة وقتذاك، وتشخيصها، ومحاولتها علاج تلك الأدواء علاجاً قد يعجزُ بعض الرجال عنه، انطلاقا من حرصها على هذا المجتمع الذي تشكل نصفه الذي يكاد يكون مغيّباً في الكثير من الأحيان. كما انها تظهر قدرة المرأة على المطالبة بحقوقها كلما أحسّت بالحاجة إلى ذلك، وكلما رأت هيمنة المجتمع الذكوري وسعيه إلى السيطرة على مقدّراتها، وغصب ما تراه حقّاً لها كفلته لها الشرائع السماوية والقوانين الوضعية.

ولأهمية هذه الخطبة من الناحية التاريخية والموضوعية، ولتميّزها من الناحية الفنية، ولمنزلة صاحبتها عند

المسلمين، كيف لا وهي ابنة النبي الأعظم (ﷺ)، الذي قال: «أنا أفصحُ العرب بيد أنّي من قريش»، ولبلاغتها وفصاحتها، ولأثرها الكبير في المتلقي سامعاً كان أو قارئاً، فإننا سوف نخصص بحثنا هذا لندرس كسر أفق التوقع فيها. وموضوعة كسر أفق التوقع من الموضوعات المهمة في نظرية القراءة والتلقي، فقد عني النقد الألماني، ولاسيما أقطاب مدرسة كونستانس بجمالية التلقي، وأفاد من الكثير من التيارات المعرفية كالفلسفة الظاهراتية وعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم اللغة والسيميائية والتداولية والهرمونوطيقا، ويعدّ هانز روبرت ياوس من رواده الذين أرادوا تجاوز النظرة الأحادية في تقويم الأدب، وطالبوا بفهم القراءة على أنَّها فعل تحاوريّ وجدليّ بين النص ومتلقيه، فالنصّ ((بنية تقديرية – كما يقول ياوس- ولذلك فهو يحتاج إلى دينامية لاحقة تنقله من حالة الإمكان إلى حالة الإنجاز ومن حالة الكمون إلى حالة التحقق، بمعنى أنه لا يجوز القول بوجود المعنى الجاهز أو النهائي في النص، وإنما معناه المرتقب ناتج عن فعل القراءة ومغالبتها التي هي عبارة عمّا سيتولد بين النص وقارئه، بين البنية الأصلية أو السنن الأول وبين خبرات القارئ أو أفق انتظاره))[١] وتوقعه.

لقد كان النقد الأدبي حريصا على إعطاء المتلقي الاهتمام الذي يستحقه ويليق به، عبر الوقوف على بعض الظواهر والمنبّهات الأسلوبية التي تسهم في إيقاظ وعيه، وتحقيق مشاركة جيدة وتفاعل إيجابي بعيد عن التلقي السلبي الذي يخلو من الحيوية والتفاعلية والإثارة، وقد أشار بعض النقاد والبلاغيين العرب إلى بعض المسميات مثل الاستغراب والإبهار والإثارة والاستطراف والاستفزاز والمفاجأة؛ لدورها المؤثر والكبير في إظهار الفائدة واللذة والتفاعل في أثناء تلقي النص وقراءته من متلقيه[٢].

يطرح النص الأدبي أمام المتلقي تساؤلات كثيرة وفرضيات تبنى على العلاقة المفروض قيامها بين منتج النص الأول وهو المؤلف، ومنتج النص الثاني وهو المتلقي، والفرضية المتوقعة عن طريق التحليل هي الفهم، إذ يفترض فان ديك Van Dijk الافتراض الآتي:

حتى يتمكن المتلقي سواء أكان مستمعا أم قارئا من استعمال نصّ معين في مقام تواصلي ما، عليه أن يسعى لفهم هذا النص، لذلك سيركز على ما يسميه (فهم النص)[٣]، وبهذا يزداد التفاعل بين النص والمتلقي.

يعدّ مفهوم أفق التوقع من المفاهيم المهمة التي طرحها هانز روبرت ياوس في نظرية التلقي، فهو – حسب ياوس- ((نظام من المرجعيات المشكّلة بصفة موضوعية وهو مع كل عمل في اللحظة التاريخية التي يظهر فيها، ينشأ من ثلاثة عوامل أساسية: التجربة المسبقة التي اكتسبها الجمهور حول الجنس الذي ينتمي إليه النص، شكل وموضوعاتية الأعمال السابقة التي يفترض معرفتها، والتعارض بين أسلوب اللغة الشعرية وأسلوب اللغة العملية، العالم الخيالي والواقع اليومي))[٤].

يأتي أفق التوقعات من خبرة قديمة بأعمال سابقة عند القارئ، ويلتقي بالنص الجديد الذي يتلقاه، ((وحينئذ

فتوقعاته قد تكون تنويعا على ما سبق أو تصحيحاً له، أو تبديلاً كاملاً أو مجرد توقعات قديمة تنبعث من جديد))[٥]، ويشير ياوس في أثناء حديثه عن أفق التوقع إلى أنّ اعتماد هذا المفهوم في التاريخ الأدبي والنقد الأدبي، من شأنه أنْ يدفع باتجاه تخليص التجربة الفنية للمتلقي من النزعة النفسية، فضلا عن أنه يمكّن من تحديد القيمة الجمالية للأثر الفني والأدبي دون أن تغفل أنه يسمح عبر إعادة صياغته وبنائه، بطرح الأسئلة نفسها التي يُفترض أنَّ ذلك الأثر قد اقترح إجابات لها حينما تم تلقيه لأول مرة، وبذلك يتم إظهار الكيفية التي فهم بها القارئ ذلك الأثر في الفترة الأولى من تلقيه، وبيان الأثر أو الآثار التي أحدثها فيه[٦].

إذن يمكننا أن نعدّ مفهوم أفق التوقع من المفاهيم الاساسية والرئيسة في نظرية التلقي بحسب رؤية ياوس، فهو يعد أفق التوقع أساسا للقراءة والتفسير وأساسا لإبداعية النص، ((وهو مفهوم يضع منظومة التوقعات والافتراضات الأدبية والسياقية التي تكون مترسبة في ذهن القارئ حول نص ما - قبل الشروع في قراءة النص – وهي فروض وتصورات قد تكون فردية لدى شخص محدد حول نص محدد، وقد تكون تصورات يحملها جيل أو فئة من القرّاء))[٧]، وقد تتطابق هذه المنظومة مع النص، وقد لا تتطابق، وفي حال عدم التطابق يحدث كسر أفق التوقع.

إنّ المتلقي حين يشرع ((في قراءة عمل حديث الصدور فإنه ينتظر منه أن يستجيب لأفق انتظاره، أي ينسجم مع المعايير الجمالية التي تكوّن تصوّره للأدب، لكن للعمل أيضا أفقه الخاص كما أسلفنا، الذي قد يأتلف مع أفق القارئ، مما ينتج عن ذلك حوار أو صراع بين الأفقين))[٨]، وقد اصطلح على تسمية هذا الصراع الذي يحدث بين ما يظهره النص، وبين ما يتوقعه القارئ بمصطلح المسافة الجمالية[٩]، وإذا ما نقض النص توقّع القارئ أو خيّبه، ((فإنه يكون قد ملك إمكانية تحويل أفقه ووجَّهَه وجهة أخرى لم تكن لتخطر على باله، مما يجعله يحتاج إلى إعمال مبدأ القراءة الواعية التي لا تقرأ النص وفق أفقها، وإنما تبحث عن طريقة أخرى تنسجم وأفق النص، وبهذا يتحقق دور النص الذي لا يسعى إلى تثبيت الأفق، وإنما إلى خرقه))[١٠]، ومفاجأة المتلقي بهذا الخرق. والمسافة الجمالية مصطلح أطلقه ياوس، وهو يعني به ((التعارض بين ما يقدمه النص، وبين ما يتوقعه القارئ))[١١]، ويرى ياوس أنّ أفق التوقعات مفهوم يسمح للمتلقي بتحديد سمات النص الفنية بوساطة تأثيره، ونوع هذا التأثير ودرجته [١٢]، فالمسافة الجمالية بين أفق النص وأفق المتلقي هي خير ما يمكن الاحتكام إليه لتحديد جمالية الأدب، إذ أصبح مدى انزياح النص عن المعايير القارّة عند القارئ، وتغييره لأفق توقعه، مقياسا لتقدير القيمة الجمالية للأدب، فكلما كان أثر كسر أفق التوقع قوياً، كان النص ذا قيمة فنية عالية، وذا تأثير واضح في المتلقي[١٣].

إنّ القارئ حينما يواجه تعارضاً وصداماً مع موقفه ووعيه وخبرته، ومع المفاهيم الراكسة لديه، وحينما تُخلخَل توقعاته وافتراضاته، تظهر لديه إمكانية

التفاعل مع النص، وهذا التفاعل كفيل بتفعيل الحس الجمالي لديه، إذ بمقدور اللا توقع، أو كسر أفق التوقع أن يفعّل علاقة المتلقي بالنص، وينأى بها عن أن تكون علاقة أحادية، من النص إلى القارئ، إلى علاقة تبادلية تسير فيها عملية القراءة في اتجاهين متبادلين، من النص إلى القارئ، ومن القارئ إلى النص[١٤]، وبذلك يحدث التفاعل المرجو بين النص والمتلقي.

تعدّ الطريقة التي يتم بوساطتها ضبط الحوار بين المتلقي والنص من أهم جوانب نظرية الاتصال، وتتمظهر هذه الطريقة في العلاقة الجدلية بين التوقع واللا توقع، فالتوقع هو ((انتظار يشوبه التمني))[١٥] ، أما اللا توقع فهو كسر لهذا الانتظار، ومفاجأة تواجه عملية التوقع، وقد ربط نقاد نظرية التلقي، وعلى رأسهم ياوس، قيمة النص وفنيته بمدى احتوائه على انزياحات تتصادم مع معايير القارئ، وتعديله لأفق توقعاته، فالنص لا يؤدي وظيفته إلّا بوصفه سلباً للمعايير – كما يرى إيزر- وسيصبح الأدب فارغاً إذا اقتصر على المألوف والمتوقع، وهو يعتقد أن المنطقة المألوفة مهمة لأنَّها تقود إلى اتجاه غير مألوف ولا متوقع [١٦]، كما أن كسر الأفق ((يسمح بإدراك الخاصية الفنية للعمل، بالقياس إلى المسافة الجمالية، أي بالقياس إلى المسافة بين التوقع والتجربة، بين التقليد والتجديد)) [١٧]، فالنص الجديد عند ظهوره يكشف عن نمط أو طريقة يتجلى بها لجمهوره الأول، فإما أن يستجيب لأفقه أو يتجاوزه أو يدحضه ويكسره [١٨] فإذا ما كسر هذا الأفق فإنه سينماز بفنية عالية، وبدرجة تلقٍ عالية، وهذا يدل على أهمية هذا العنصر في النص الأدبي مهما كان نوعه؛ لأنه يحفز على إثارة التفاعل بين النص والمتلقي، ويجعل من هذا الأخير متلقياً إيجابياً وليس سلبياً.

بعد ان ظهر لنا اهمية كسر أفق التوقع في اثارة المفاجأة عند المتلقي, وفي جذب انتباهه, ومن ثم تفاعله مع النص الذي يتلقاه, سواء أكان سامعا أم قارئا له, فإنّنا نحاول في هذا البحث أن نطبق هذا المفهوم على خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام), وسوف لا تقتصر الدراسة على التركيز على محور كسر أفق التوقع الاسلوبي فقط, الذي يظهر عبر الانزياحات كالتقديم والتأخير والحذف والذكر مثلا – كما رأينا في بعض البحوث التي اطلعنا عليها - , وانما سنحاول ان نجد روافد أخرى لكسر أفق التوقع ظهرت في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام).

انَّ إنعام النظر في حدث مجيء السيدة الزهراء (عليها السلام) الى المسجد لتلقي خطبتها أمام الناس, وتحليل موضوعات الخطبة, وتسلسلها على وفق نسق معين أرادته وسعت الى ابانته وتنبيه المتلقين عليه, وتحليل لغة الخطبة وبيان الانزياحات الاسلوبية التي ظهرت فيها, يظهر لنا أنّ ثمة أكثر من نوع من كسر أفق التوقع في الخطبة يمكن انْ ندرجه في محاور ثلاثة كما يأتي:

١- كسر أفق التوقع الاجتماعي.

٢- كسر أفق التوقع الموضوعي.

٣- كسر أفق التوقع الاسلوبي.

كان العرف الاجتماعي عرفا ضاغطا على الكثير من مفاصل المجتمع العربي منذ العصر الجاهلي, وكانت المرأة الضحية الأبرز من ضحايا الأعراف الاجتماعية، فكثيرا ما كان النسق الاجتماعي يشكل حائلا مهما وعقبة كؤوداً امام المرأة وسعيها إلى طلب حقوقها وأخذ دورها الذي أعطاها إياه الله سبحانه في الحياة. وإذا جئنا الى العصر الجاهلي سنجد مقدار الحيف والضغط الاجتماعي الذي وقع عليها، اذ تصف الكثير من الآيات القرآنية , ولاسيما ما ورد في سورة النساء، صور الظلم وعدم العناية وعدم الاكتراث بهذا الكائن الرقيق:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُواْ النِّسَاء كَرْهًا وَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُواْ بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلاَّ أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلاَ تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْئًا أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾[١٩]، فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أكثر من نوع من الظلم كان يقع على المرأة وهو كما يأتي:

١. وراثة نكاح النساء بالغصب والإكراه، فقد كان أهل الجاهلية إذا ما مات أحدهم جاء ابنه من غير هذه المرأة، أو وليّه فورثها كما يرث ماله وما يملك، وألقى عليها ثوبه، فإن أراد تزوجها بمهرها الأول، وإن شاء زوجها غيره وأخذ صداقها [٢٠].

٢. العضل وهو التضييق على المرأة، فقد كان الرجل يضيّق على زوجته كثيراً ويؤذيها؛ لكي تطلب منه الطلاق وتعطيه مالا من أجل أن تفك نفسها من ظلمه[٢١].

٣. الاستيلاء على مهر الزوجة إذا أراد الرجل تطليقها والزواج بأخرى؛ لكي يعطيه للزوجة الثانية، وهذا حرام وبهتان وإثم كان يمارسه الرجل بحق المرأة بدليل الآية الكريمة.

وهناك انتهاك وتجاوز على حرمة زوجة الأب يشير إليه قوله تعالى:﴿ وَلاَ تَنكِحُواْ مَا نَكَحَ آبَاؤُكُم مِّنَ النِّسَاء إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاء سَبِيلاً﴾ [٢٢]، فقد كان أهل الجاهلية يتزوجون زوجة الأب، فنزلت الآية وحرّمت هذه العادة البغيضة [٢٣] التي وصفتها بثلاث صفات متتابعة عبر قوله تعالى: ﴿ فاحشة ومقتاً وساء سبيلا﴾.

فضلا عمّا تقدم فإن العرب كانت تئد البنت دون ذنب ارتكبته. قال تعالى:﴿ وَإِذَا الْمَوْؤُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنبٍ قُتِلَتْ ﴾ [٢٤]، كما كان الرجل يحس بالحزن الكبير والأسى واسوداد الوجه كنايةً عن الفشل، أمام المجتمع إذا رُزق بأنثى، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلاَ سَاء مَا يَحْكُمُونَ ﴾ [٢٥].

حينما جاء الإسلام أعطى المرأة حقّها كاملاً، وحافظ على خصوصيتها وحرمتها ورقتها، وحماها ممّا كان يمارس ضدّها، قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [٢٦]، فقد أشارت الآية الكريمة إلى أن معيار المفاضلة هو التقوى، وأعلنت قاعدة المساواة بين الناس عموماً

أجناساً وفئات، أمّا الأكرم عند الله جلّ شأنه فهو ليس الرجل لوحده، أو المرأة لوحدها، وإنما هو الإنسان المتقي رجلا كان أو امرأة، كما أن دخول الجنة لا يشمل الرجل وحده، وإنما تشترك المرأة معه بشرط الإيمان وعمل الصالحات لكليهما، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ (٢٧).

ومع هذه المنزلة المهمة والعناية الخاصة التي أعطاها الإسلام للمرأة، فضلا عن حقوقها المصانة في جميع نواحي الحياة، إلّا اننا نجد العرف الاجتماعي الذي ينهل من البداوة التي طبع عليها لم يلتزم بالكثير من المقررات التي أقرّها الشارع المقدّس، فهو ينتظر أيّ وقت يضعف فيه التطبيق الأمثل للنظام الإسلامي، لينقضّ على فرائسه، ومن أولى هذه الفرائس هي المرأة التي كانت مرمى هذه الأعراف البالية، إلا ان هناك من النساء من آلت على نفسها أن تقف في وجه العرف الاجتماعي الخاطئ وتسعى إلى الخروج وكسر الحواجز والأستار؛ لكي تطالب بحقّها، وبحقّ المرأة في كل مكان وزمان، عبر مطالبتها بهذا الذي تراه حقاً لها، وهذا ما فعلته السيدة الزهراء (عليها السلام) حينما كسرت الأطر الاجتماعية والحواجز التي وضعها المجتمع الرجولي بوجه المرأة، وخرجت إلى المسجد ذلك الخروج المدوّي وخطبت خطبتها أمام المجتمع الرجولي بكل ما تملكه من شجاعة وجرأة وقوةِ حجةٍ وروعةِ بيان.

بعد مجموعة الأحداث التي حصلت بعد وفاة الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله)، قررت السيدة الزهراء (عليها السلام) أن تطلب حقّها عبر طريقة لم تسلكها المرأة في ذلك الوقت – في حدود اطلاعي- ألا وهي الخروج إلى المسجد وإلقاء خطبة أمام الناس، وسرى الخبر في المدينة، وشاع بين الناس أن ابنة رسول الله تريد أن تلقي خبطة في مسجد أبيها (صلى الله عليه وآله)، لتبيّن موقفها من الأحداث التي جرت عليها بعد وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله)، وهزّ الخبر أرجاء المدينة المنورة (٢٨)، وبدأت الأسئلة تراود الناس:

هل ستخرج الزهراء فعلا إلى المسجد لتخطب أمام الرجال؟

لماذا ستخرج إلى المسجد النبوي؟ وما الدوافع المؤدية إلى خروجها؟ ماذا ستقول في خطبتها؟

هل يعقل أن تخرج المرأة إلى المسجد؛ لتلقي خطبة على الرجال؟

هذه الاسئلة وغيرها من الممكن أن تكون قد راودت الناس وقتذاك، فالسيدة الزهراء (عليها السلام) كانت قاصدةً الذهاب إلى المسجد النبوي؛ لأنه المكان الأنسب لإلقاء خطبتها؛ لذلك لم تختر مكاناً آخر، فالمسجد هو المركز الإسلامي في ذلك الوقت، ومكان اجتماع المسلمين، كما انّها اختارت الزمان المناسب أيضا حينما يكون المسجد مليئاً بالناس على اختلاف طبقاتهم من المهاجرين والأنصار، وفضلا عن ذلك فإنها (عليها السلام) لم تخرج وحدها إلى المسجد، وإنّما خرجت مع مجموعة من النساء، وكأنها في مسيرة نسوية للمطالبة بحقوقهنّ (٢٩)، ولعلّ سبب ذلك هو تنبيه المجتمع وجذب انتباهه إلى هذه الحركة المتمثلة باجتيازها الطريق مع هاتيك النسوة؛ ليجتمعن في

المسجد، وليتوجه الناس بعد رؤية هذا المشهد، إلى المسجد ليروا ويستمعوا ما تريده الزهراء وما تطلبه من عملها هذا [٣٠]، كما أنها أرادت بإخراج النساء معها أن تظهر هذا النصف الذي يريد المجتمع تغييبه، أو على الأقل غمط حقوقه. وإلى هذا الحدث تشير بعض المصادر، منها كتاب بلاغات النساء، إذ ورد فيه ما يأتي: ((لمّا بلغ فاطمة رضي الله عنها إجماع أبي بكر على منعها فدك، لاثت خمارها، وخرجت في حشدةٍ نسائها، ولمّةٍ من قومها)) [٣١]، ومنها كتاب الاحتجاج الذي ورد فيه: ((لما أجمع أبو بكر وعمر على منع فاطمة (عليها السلام) فدكاً وبلغها ذلك لاثت خمارها على رأسها واشتملت بجلبابها وأقبلت في لمةٍ من حفدتها ونساء قومها)) [٣٢].

لقد شكّل هذا الحدث كسراً واضحاً لأفق توقع المجتمع ولأفق توقع المتلقي وقتذاك، كما مثّل خروجا واضحا عن النسق الاجتماعي السائد والحاكم في آنٍ معا، فلم يتعود المجتمع على خروج المرأة بهذه الطريقة، للمطالبة بحقها، ولم يألف وجود امرأة في المسجد وهي تلقي خطبة طويلة ذات مضامين كثيرة، بلغة عالية، وقدرة فائقة، وبلاغة قلّ نظيرها، وبذلك شكّلت خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) خروجا عن النمطية السائدة، وخروجا عن العرف الاجتماعي الذي لا يسمح للمرأة بالتعبير عن نفسها، والمطالبة بحقوقها، ومن ثم كسرا لأفق التوقع المجتمعي ومحاولة لإظهار أحقية المرأة وسعيها للتعبير عن نفسها وبيان حقوقها، وكسرا لأفق توقع المتلقين.

ثانيا: كسر أفق التوقع الموضوعي:

كان المتلقي لخطبة السيدة الزهراء يتوقع أن تبدأ خطبتها بمقدمة تقليدية بحمد الله والثناء عليه والصلاة على النبي (صلى الله عليه وآله)، ومن ثم تدخل في الموضوع الأساس الذي جاءت من أجله، وتبدأ بالمطالبة بحقها في أرض فدك التي وهبها إياها الرسول (صلى الله عليه وآله)، إلّا انها فاجأت المتلقي سواء أكان سامعا أم قارئا بأنها بدأت الخطبة بحمد الله بطريقتها الخاصة على نعمه التي ابتدأها ومننه التي والاها التي لا تعد ولا تحصى، ثم خرجت إلى الأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين، وهو التوحيد، ثم فصّلت في التوحيد الاستدلالي، وهدفها من ذلك ليس استرجاع أرض فدك وإنما توجيه الناس وحثهم على عبادة الواحد الأحد والتمسك بحبله المتين، بعد الهزة العقائدية التي حدثت عند بعض المسلمين بعد وفاة الرسول الله (صلى الله عليه وآله).

لقد رأت الزهراء (عليها السلام) أن العقيدة بدأت تضعف عند بعض المسلمين، وكأنهم اكتفوا بما قدّموه لهذا الدين في حياة النبي الكريم، فكانت بداية الخطبة تركز على إيقاف أثر هذه الهزة العقائدية، وهذا الانحدار [٣٣]، عبر توجيه أنظارهم ولفت انتباههم إلى توحيد الله والاخلاص له في العبادة، لذلك نراها تبدأ الخطبة بقولها(عليها السلام): ((«الحمد لله على ما أنعم، وله الشكر على ما ألهم، والثناء بما قدّم، من عموم نعم ابتداها وسبوغ آلاء أسداها، وتمام منن والاها جمّ عن الإحصاء عددها، ونأى عن الجزاء أمدها، وتفاوت عن الإدراك أبدها، وندبهم لاستزادتها بالشكر

لاتصالها، واستحمد إلى الخلائق بإجزالها، وثنّى بالنَدبِ إلى أمثالِها، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جَعلَ الإخلاصَ تأويلَها وضمّن القلوب موصولَها، وأنار في التفكر معقولَها، الممتنع من الأبصار رؤيتُه ومن الألسن صفتُه ومن الأوهام كيفيتُه))[٣٤].

تنتقل السيدة الزهراء بعد ذلك إلى بيان الأصل الثاني من أصول الدين عند المسلمين، وهو النبوة، للمتلقي، وتوضح أسباب بعثة النبي (ﷺ) بالرسالة، إذ تقول: ((ابتعثه الله إتماما لأمره وعزيمةً على إمضاء حكمه وإنفاذا لمقادير حتمه...)) [٣٥]، ثم تتحدث عن أهمية القرآن الكريم، ومنزلته السامية عند المسلمين [٣٦]، ثم تحدثت عن فلسفة العبادات وعلل الشرائع الاسلامية[٣٧] ، وانتقلت إلى الكلام على حال الناس في العهد الجاهلي قبل بزوغ نور الدين الاسلامي وشعاع النبوة الخاتمة [٣٨]؛ لتقارن بين وضعهم قبل الإسلام، ووضعهم حينما اعتنقوا هذا الدين الذي نزلت تعاليمه على أبيها (ﷺ)، وهي بذلك تشير إلى الفضل الكبير للنبي العظيم وأثره الواضح في تربية هذه الأمة، وتغيير حالها من ضعف الجاهلية إلى قوة الإيمان، وفي ذلك تقول: ((وكنتم على شفا حفرة من النار، مُذقةَ الشارب ونُهزة الطامع وقَبسة العجلان... فأنقذكم الله تبارك وتعالى بمحمد (ﷺ) بعد اللتيّا واللتي)) [٣٩].

إن التأمل في الخطبة يظهر لنا أن الزهراء (عليها السلام) لم تطلب حقها في فدك إلّا في الجزء قبل الأخير منها، فقد قسّمنا الخطبة في خمسة أخماس –بحسب عدد صفحاتها- ووجدنا أنها لم تذكر مسألة ارثها من أبيها (ﷺ)، وحقها في فدك إلّا في الخمس الرابع من الخطبة، أي في الصفحة الرابعة، فهي – كما اشرنا سابقا- لم تبدأ بهذا الموضوع، في حين أن أفق توقع المتلقي كان ينسجم مع ابتدائها الخطبة بطلب الإرث إلّا انّها كسرت أفق التوقع في تسلسل موضوعات الخطبة عند المتلقي، وبذلك حصلت المفاجأة والإدهاش عنده، وهذا ما أرادته منتجة النص، وما سعت إلى تحقيقه، وهنا ظهرت المسافة الجمالية بأجلى صورها، وظهر التعارض واضحا بين ما قدّمه النص وما توقعه القارئ، بحسب تعبير هانز روبرت ياوس.

وهنا يبرز أمام البحث سؤال مفاده: هل ان هذا الكسر لأفق التوقع عند المتلقي، في تسلسل موضوعات الخطبة، كان يجري بقصدية واعية من الزهراء (عليها السلام)، أو جاء عفو الخاطر؟ وللإجابة على هذا السؤال لا بد لنا أن نعلم أن هذه السيدة الجليلة هي ابنة البشير النذير الذي لا ينطق عن الهوى، هذا الرجل الذي نقل البشرية من مرحلة جاهلية ممقوتة مظلمة، إلى مرحلة ساد فيها الإسلام، وأنار بنوره الوهاج على الدنيا بأجمعها، ومن باب أولى أن تحرض هذه السيدة على مصير الإسلام والمسلمين، الذي كان ثمرة جهاد أبيها، لذلك لم تعتن بمسألة المطالبة بحقها، قدر عنايتها بنصح المسلمين، وتوجيههم الوجهة الصحيحة، التي أرادها الله تعالى، ورسوله

الكريم (ﷺ)، لذلك وجدناها في خطبتها لم تركز

على المطالبة بفدك في بدايتها ((بل انتهزت الفرصة لتفجّر للمسلمين عيون المعارف الإلهية وتكشف لهم محاسن الدين الإسلامي، وتبين لهم علل الشرائع والأحكام)) [٤٠]، ليكونوا أكثر تمسكاً بدينهم، وأكثر ثباتاً على إيمانهم، الذي بدأ يتزحزح بعد وفاة الرسول (ﷺ)، ولعلّ ردة كثير من الناس – بعد حدث وفاة النبي- عن الدين دافعا مهماً للسيدة الزهراء (عليها السلام) لأن تبدأ خطبتها وتستمر في إيراد المواضيع التي تحث الناس على الالتزام والثبات على ثوابت الإسلام، وبذلك يدلّ هذا الموقف على إيثار الزهراء (عليها السلام) مصلحة الدين ومصلحة الناس على مصلحتها الخاصة؛ حباً منها للإسلام والمسلمين.

ثالثا: كسر أفق التوقع الأسلوبي:

يعدّ العدول عن الأصل في التراكيب اللغوية، والانزياح في النسيج الكتابي الأدبي من المنبهات الأسلوبية المهمة التي تسهم في إيقاظ وعي المتلقي، وشدّه إلى النص عبر كسر أفق التوقع عنده، وهذا بدوره يؤدي إلى تعميق تفاعله معه، وبذلك يكون عنصرا مفعلا لدينامية النص، ومتلقياً ايجابيا لا يكتفي بالاستماع أو القراءة، بل يكون مشاركا مع المنتج من أجل فهم أدق، ووعي أكثر، وتبعاً لذلك فإن هذا الأمر سيعمّق فهم المتلقي للنص؛ ذلك أنّ مقاربة جمالية التلقي للمعنى تنطلق منطلقا ((يجعل عملية الفهم بنية من بنيات العمل الأدبي نفسه، ليصبح الفهم هو عملية بناء المعنى وإنتاجه، وليس الكشف عنه أو الانتهاء إليه، وبذلك يعدّ المحصول اللساني مؤثراً واحداً من مؤثرات الفهم لا بد من تغذيته بمرجعيات ذاتية قائمة على فعل الفهم من لدن المتلقي)) [٤١].

يتحقق كسر أفق التوقع الأسلوبي عبر بعض الظواهر التركيبية في اللغة، منها التقديم والتأخير، فأصل الكلام أن يكون المقدَّم مقدّما والمؤخر مؤخرا، إلّا أنّ ثمة دواعٍ فكرية ومعنوية ونفسية تطرأ على منتج النص فتجعله يقدم مؤخرا، ويؤخر مقدّما، وليس ذلك من أجل الترف أو تلوين الكلام وتزيينه أو تعدد صيغه [٤٢]، فضلا عن عدم اعتباطية هذا الأمر، وهذا بدوره يشير إلى هدف وقصد اتخذه منتج النص ليفهم المتلقي والقارئ فحوى الرسالة التي يريد إبلاغها له، فالعدول عن صيغ الكلام التقليدية، والانزياح عنها إلى صيغ فيها نوع من المغايرة الأسلوبية، يشكّل واحدا من أهم المنبهات الأسلوبية التي تلفت نظر المتلقي، وتعمل على إيقاظ وعيه ومن ثم كسر أفق التوقع عنده، وجذب انتباهه، ليفهم النص فهما اعمق، وينعم الناظر فيه، ثم يتساءل عن سبب هذا التقديم والتأخير والهدف المرجو منه [٤٣].

ومن الظواهر التركيبية التي يتحقق بواسطتها كسر أفق التوقع الاسلوبي عند المتلقي، ظاهرة الحذف، فهذه التقنية الاسلوبية تستدعي البحث والكشف عن الشيء المحذوف، ولعل هذا الكشف والاستجلاء مهمة يقوم بأدائها المتلقي، الأمر الذي يحدد القصد والغاية من الحذف، ولن تكون مشاركة المتلقي حاضرة في النص إلا اذا تعمّد منتج النص هذه التقنية؛ وذلك ليشغل ذهنيته ويفعّلها، ويدفعها نحو تقدير المحذوف، وليوقظ اهتمامه ويشركه في مجريات النص [٤٤]،

وهذا ما يهدف إليه كسر أفق التوقع الاسلوبي، الذي يعمد إليه منتج النص بقصدية واعية.

إذا جئنا إلى خطبة السيدة الزهراء عليها السلام لنستكنه كسر أفق التوقع الأسلوبي فيها، فإننا سنجد أنّ هذا الامر ظهر بشكل واضح عبر تقنية التقديم والتأخير، في حين لم يظهر الحذف بكثرةٍ في الخطبة، بل كان قليل الورود فيها، لذلك سوف تقتصر دراستنا على تقنية التقديم والتأخير، وأثرها المهم في كسر أفق التوقع عند المتلقي.

التقديم والتأخير في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام):

ثمّة وظائف كثيرة للتقديم والتأخير، ومن هذه الوظائف، العناية والاهتمام، والاختصاص، والافتخار، والتفاؤل، والتشاؤم، وإفادة القصر، وإظهار التعظيم والتحقير، وتقوية الحكم وتوكيده، والتعجيل المسرّ والمساءة، والمناسبة، والسببية، والتعجب، والتدرج الزمني، والتشويق للمؤخر، ومراعاة الترتيب بحسب الأسبقية، والاستلذاذ، وعود الضمير على مذكورٍ سابقٍ [٤٥].

هناك صيغ كثيرة للتقديم في اللغة العربية، فقد يُقدّم الخبر على المبتدأ، ويقدم المفعول به، والجار والمجرور، والفاعل على الفعل، والحال، وخبر إن على اسمها، وخبر كان على اسمها... الخ، وعند إحصاء النصوص التي ورد فيها التقديم في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) وجدْنا أنّ بنية التقديم المهيمنة هي تقديم شبه الجملة (الجار والمجرور)، وسندرجها في نقاط كما يأتي:

١. تقديم الجار والمجرور على المفعول به:

قالت السيدة الزهراء (عليها السلام): ((تتربصون بنا الدوائر وتتوكفون الأخبار)) [٤٦]، فقد كسرت أفق التوقع عند المتلقي في هذا النص، إذْ إنَّ النسق الطبيعي غير المنزاح الذي كان يتوقعه المتلقي هو: تتربصون الدوائر بنا، إلّا انّها عدلتْ عنه وقدمت الجار والمجرور (بنا)؛ لبيان أهمية الشيء المقدّم.

في نص آخر تقول عليها السلام: ((فلما اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه)) [٤٧]، وهنا يظهر كسر افق التوقع جليا عند المتلقي، إذ كان يتوقع أن تقول: فلما اختار الله دار أنبيائه لنبيه، وبذلك تأتي الجملة مرتبة من فعل وفاعل ومفعول به ثم تأتي بقية الكلمات، إلا انها انزاحت عن الترتيب التقليدي لها وقدّمت الجار والمجرور المتصل بالضمير الهاء الذي وقع مضافا إليه مجرورا (لنبيه)؛ لتعظيم شأن النبي (صلى الله عليه وآله) وللعناية والاهتمام.

بدأت السيدة الزهراء (عليها السلام) خطبتها بحمد الله والثناء عليه، ثم انتقلت إلى الأصل الأول من أصول الدين عند المسلمين، وهو التوحيد، وبدأت بالتفصيل في هذا الموضوع المهم، إذ قالت: ((وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلمة جَعلَ الإخلاصَ تأويلَها وضمّن القلوب موصولَها، وأنار في التفكر معقولَها)) [٤٨].

ففي الجملة الأخيرة ظهر كسر أفق التوقع الاسلوبي، إذ كان المتلقي يتوقع أن تقول: وأنار معقولها في التفكر، إلّا انَّها قدّمت الجار والمجرور على المفعول به؛ لتقوي أواصر التفاعل بين المتلقي والنص، ولكي تحفز ذهنه وتبعثه على التساؤل عن سبب هذا

التقديم والتأخير، وبسؤالها هذا يصبح عنصرا مفعّلا لدينا لدينامية النص، ومتلقيا إيجابيا يسعى إلى فهمه فهماً صحيحا، إذا ما ادراك أنَّ هدف هذا التقديم كان الاختصاص؛ لأن من خصوصيات العقل هو التفكير. هناك نص تقدم فيه الجار والمجرور على المفعول المطلق، فحينما تحدثت الزهراء (عليها السلام) عن وفاة أبيها (صلى الله عليه وآله) قالت: ((ثم قبضه الله إليه قبض رأفةٍ واختيارٍ، ورغبةٍ وإيثار)) [٤٩]، وهنا نجد الانزياح الذي يكسر أفق التوقع عند المتلقي، إذ إن أصل الكلام: ثم قبضه الله قبض رأفةٍ واختيار إليه، فقد قدّمت الجار والمجرور إليه، الذي يشير إلى الله جلّ شأنه؛ للتعظيم والاختصاص.

٢. تقديم الجار والمجرور على الفاعل:

ظهر هذا النوع من كسر أفق التوقع الأسلوبي في قول الزهراء (عليها السلام): ((لا تأخذه في الله لومة لائم))[٥٠]، إذ إن أصل الكلام: لا تأخذه لومة لائم في الله، إلا انها قدّمت الجار والمجرور (في الله) على الفاعل (لومة)؛ لتكسر أفق التوقع عند المتلقي، ولتظهر أهمية الشيء المقدّم؛ ولتعظّمه.

تصف السيدة الزهراء حال بعض المرتدين بعد وفاة النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله)، فتقول: ((فلمّا اختار الله لنبيه دار أنبيائه ومأوى أصفيائه، ظهر فيكم حسكة النفاق))[٥١]، فقد تقدم قولها: (فيكم) على الفاعل (حسكة)، وبهذا الأمر سيُكسر أفق التوقع عند المتلقي، وسيتفاعل مع النص، ويبحث عن سبب لهذا الانزياح الأسلوبي الذي ظهر فيه، وقد كان سببه هو التعجب من حال هؤلاء الناس وما حصل لهم بعد وفاة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله)، وللاختصاص.

٣. تقديم الجار والمجرور على الخبر:

ورد هذا النوع من التقديم في قول الزهراء (عليها السلام): ((وأنتم في رفاهيةٍ من العيشِ وادعون فاكهون آمنون)) [٥٢]، فقد كُسر أفق التوقع عند المتلقي؛ لأنه كان يتوقع أن يأتي الكلام على وفق التوقع بأن تقول: وأنتم وادعون فاكهون أمنون في رفاهيةٍ من العيش، إلّا انّها عدلت عن الترتيب الطبيعي للكلام، وقدّمت الجارين والمجرورين (في رفاهيةٍ من العيش) على الخبر، وبذلك حققت المفاجأة والإدهاش عند المتلقي، ومن ثمّ حققت تفاعله مع النص.

تصف الزهراء (عليها السلام) حال الناس عند بعثة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) فتقول: ((وأشهد أن أبي محمداً عبدُه ورسولُه، اختاره قبل أن أرسله، وسمّاه قبل أن اجتباه، واصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونة، وبستر الأهاويل مصونة، وبنهاية العدمِ مقرونة)) [٥٣]، فقد قدّمت شبه الجملة من الجار والمجرور على الخبر، إذ إن تقدير الكلام: إذ الخلائق مكنونة بالغيب، ومصونة بستر الأهاويل ومقرونة بنهاية العدم، فقد مارس هذا الانزياح الأسلوبي عملية كسر أفق التوقع عند المتلقي؛ لكي يحفّزه على التفكر والتأمل في سبب هذا التقديم، ومن ثم يتلقى النص بطريقة تفاعلية، بعد أنْ اكتشف أنَّ هذا التقديم كان لغرض العناية والاهتمام، فضلا عن الأثر الصوتي الذي يحدثه عبر توافق رؤوس المقاطع واتفاقها في السجعات التي حققت توازياً صوتيا يؤثر في المتلقي

تأثيراً واضحاً، ويجذبه إلى النص بشكر أكبر.

خاتمة ونتائج

ظهر لنا عبر دراسة كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام) أن هذه الثيمة من الثيمات المهمة في نظرية التلقي، وقد أرسى قواعدها قطب مدرسة كونستانس الألمانية هانز روبرت ياوس، وتعدّ عنصراً مهمّاً يذكي حالة التواصل والتفاعل بين النص والمتلقي، كما انها تميّز النص الدينامي التفاعلي عن النص العادي، وتشير إلى قدرة منتج النص على التلاعب بالألفاظ والأساليب من أجل ديمومة حالة التفاعل بين نصّه ومتلقيه.

ركز أكثر الباحثين الذين درسوا كسر أفق التوقع في دراسات تطبيقية على كسر أفق التوقع الأسلوبي، إلا اننا لم نكتف في هذا البحث على هذا النوع فقط، بل سعينا إلى الاجتهاد في إظهار أنواع أخرى من كسر أفق التوقع، كنّا قد رصدناها في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)؛ لذلك توصل البحث إلى أن ثمة ثلاثة أنواع من كسر أفق التوقع، هي كسر أفق التوقع الاجتماعي، والموضوعي، والأسلوبي، فلا ينبغي - عند دراسة أي نص - التركيز على كسر أفق التوقع الأسلوبي فقط، بل على الباحثين التدقيق أكثر في النصوص المقروءة؛ ليجدوا أنواعا أخرى من كسر أفق التوقع، وهذا ما أدعو إليه في بحثي المتواضع هذا.

وتأسيساً على ما تقدّم فقد رصد البحث عبر دراسة كسر أفق التوقع في خطبة السيدة الزهراء (عليها السلام)، ثلاثة أنواع منه هي:

١. كسر أفق التوقع الاجتماعي، فقد سعت الزهراء (عليها السلام) إلى كسر القيود المفروضة على المرأة، فقررت الخروج إلى المسجد، هي ومجموعة من النساء؛ لتلقي خطبتها أمام الملأ، وتبين موقفها، وبذلك شكل هذا الحدث الخارق للعادة خروجا عن النسق الاجتماعي السائد، وكسراً لأفق توقع المجتمع وقتذاك.

٢. كسر أفق التوقع الموضوعي، إذ توقع المتلقون للخطبة أن تبدأ الزهراء خطبتها بطلب أرض فدك التي نحلها إياها أبوها (صلى الله عليه وآله) في حياته، إلا ان حرصها على عقيدة المسلمين وعلى بيان أثر النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) في هذه الأمة، وعلى إظهار فلسفة العبادات والحفاظ على بيضة الإسلام كان أشد من حرصها على المطالبة بأرض فدك، لذلك أخّرت موضوع المطالبة بحقّها. هذا الأمر شكّل كسراً لأفق توقع المتلقين في تسلسل موضوعات الخطبة، ومن ثمّ أدى إلى تفاعل أكثر معها.

٣. كسر افق التوقع الأسلوبي، وظهر بشكل جلي بوساطة تقنية التقديم والتأخير، في حين ظهر بشكل قليل عن طريق الحذف والذكر، أما التقديم والتأخير فقد ظهر عبر تقديم الجار والمجرور على المفعول به، وعلى الفاعل، وعلى الخبر، وقد أشرنا إلى أسبابه في أثناء البحث.

الهوامش

١. بحث: فعل القراءة وإشكالية التلقي، محمد خرماش، مجلة علامات في النقد، ع ١٠، ١٩٩٨، موقع سعيد بنكراد على الرابط الآتي: http:saidbengrad.free.fr

٢. ينظر: بحث: المتوقع واللامتوقع في شعر محمود درويش، دراسة في جمالية التلقي، د. عبد الباسط الزيّود، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٨، ع٣٧، جمادى الثانية ١٤٢٧ هـ، ٤٣٠.

٣. ينظر: بحث: نظرية التلقي تأطير ونموذج ، د. محمد دخيسي، موقع رابطة أدباء الشام على الرابط الآتي: www.odabasham.net.

٤. Jauss; Pour une ésthétique, de la reception, p64 نقلا عن: أفق التوقع عند ياوس ما بين الجملة والتاريخ، د. خير الدين دعيش، مجلة المخبر، ع١، ٢٠٠٩، ٧٨.

٥. بحث: النظرية النقدية ومفهوم أفق التوقع، السيد إبراهيم، مجلة علامات في النقد، مج٨، ج٣٢، ١٩٩٩م، ١٦٩.

٦. ينظر: جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: رشيد بنحدو، منشورات المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م، ٤٤، ٤٧، ٥١.

٧. القصيدة والنص المضاد، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م، ١٦٤.

٨. بحث: قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، الفكر العربي المعاصر، مج١، ع٤٨، ١٩٩٨م، ٢١.

٩. ينظر: جماليات التلقي، سامي اسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٢، ٩٥.

١٠. بحث: المتوقع واللا متوقع في شعر محمود درويش، ٤٣٤.

١١. جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع، اربد – الأردن، ط١، ٢٠٠٠، ٩٣.

١٢. ينظر: جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبي، ١٢.

١٣. ينظر: جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنصّ الأدبي، ١٢.

١٤. ينظر: جماليات التلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠١٠، ٢٣٩. وينظر: جماليات الاسلوب والتلقي، ٨٩، ٩١.

١٥. معجم مصطلحات علم النفس عربي- فرنسي – انكليزي، إعداد د. عبد المجيد سالمي و د. نور الدين خالد وشريف بدوي، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ٨٢.

١٦. ينظر: نظرية التلقي – مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة عز الدين اسماعيل، كتاب النادي الثقافي الأدبي بجدة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ٢٣١.

١٧. Hans Robert jauss: pour une: herméneneutique litteraire, trad: Maurice édifion: Gallimard, Paris, 1988. P42, نقلا من: أفق التوقع عند ياوس، ٨٠.

١٨. ينظر: jauss; pour une ésthétique De la Réception, p50. نقلا عن: أفق التوقع عند ياوس، ٨٠.

١٩. النساء ١٩-٢٠.

٢٠. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين الفضل بن الحسن الطبرسي، دار القارئ ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م، ٣/٤١-٤٢.

٢١. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/٤١.

٢٢. النساء : ٢٢.

٢٣. ينظر: مجمع البيان في تفسير القرآن: ٣/٤٦-٤٧.

٢٤. التكوير: ٨-٩.

٢٥. النحل: ٥٨-٥٩.

٢٦. الحجرات: ١٣.

٢٧. النساء: ١٢٤.

٢٨. ينظر: فاطمة بضعة مني، حسين الشاكري، المؤسسة الاسلامية للتبليغ والارشاد، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م، ١٦١.

٢٩. ينظر: فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، السيد محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م، ٢٣٤.

٣٠. ينظر: فدك في التأريخ، السيد محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، إيران، ط٢، ١٤٢٥هـ، ٢٠.

٣١. بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق بركات يوسف هيّود، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ٣٢.

٣٢. الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ١١٢.

٣٣. ينظر: فدك – أبعادها. دلالاتها. وامتداداتها، د. عبد المجيد فرج الله، دار المحبين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م، ١٢٤.

٣٤. يعدّ كتاب بلاغات النساء لأبي الفضل أحمد بن أبي طاهر طيفور المتوفى سنة ٢٨٠هـ، من أقدم المصادر التي نقلت خطبة السيدة الزهراء (ع)، إلّا اننا سوف نعتمد في إيراد الخطبة على كتاب الاحتجاج للشيخ أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي؛ لدقته في نقلها.

٣٥. الاحتجاج: ١١٣، وينظر: بلاغات النساء: ٣٣.

٣٦. الاحتجاج: ١١٣.

٣٧. ينظر: الاحتجاج: ١١٤.

٣٨. ينظر: الاحتجاج: ١١٤.

٣٩. ينظر: الاحتجاج: ١١٥.

٤٠. الاحتجاج: ١١٥.

٤١. فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد: ٢٣٦.

٤٢. نظرية التلقي–أصول وتطبيقات-، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩م، ٢٩.

٤٣. ينظر: أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ- ٢٠٠٣م، ٨٤-٨٥.

٤٤. ينظر: مستويات السرد الوصفي القرآني –دراسة اسلوبية-، د. طلال خليفة سلمان، دار الرافد للمطبوعات، بغداد، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م، ٢٣٢-٢٣٣.

٤٥. ينظر: مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآني، شارف مزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١، ١٨٩.

٤٦. ينظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين الزملكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، منشورات رئاسة ديوان الأوقاف، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م، ٢٩٠. وينظر: معترك الأقران في إعجاز القران، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد علي البجاوي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت، ١/ ١٧١-١٨٠. وينظر: معاني النحو، د.فاضل صالح السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د.ط، د.ت، ١٦١/١ وما بعدها. وينظر: التقديم والتأخير في القران الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م، ١٣ وما بعدها.

٤٧. الاحتجاج ١١٥/١.

٤٨. الاحتجاج ١١٥/١.

٤٩. الاحتجاج: ١١٣/١.

٥٠. الاحتجاج ١١٣/١.

٥١. الاحتجاج: ١١٥/١.

٥٢. الاحتجاج: ١١٥/١.

٥٣. الاحتجاج: ١١٥/١.

٥٤. ينظر: الاحتجاج: ١١٣/١.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١- الاحتجاج، أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي، دار المرتضى، بيروت، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢- أسرار التشابه الأسلوبي في القرآن الكريم، د. شلتاغ عبود، دار الرسول الأكرم ودار المحجة البيضاء، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٣- البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، كمال الدين الزملكاني، تحقيق: د. خديجة الحديثي ود. أحمد مطلوب، مطبعة العاني، بغداد، ط١، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

٤- بلاغات النساء، أحمد بن أبي طاهر طيفور، تحقيق: بركات يوسف هيود، المكتبة العصرية، بيروت، د.ط، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٥- التقديم والتأخير في القرآن الكريم، حميد أحمد عيسى العامري، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٦م.

٦- جماليات الأسلوب والتلقي، د. موسى ربابعة، مؤسسة حمادة للدراسات، أربد، الأردن، ط١، ٢٠٠٠م.

٧- جماليات التلقي، سامي إسماعيل، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٢م.

٨- جماليات التلقي في السرد القرآني، د. يادكار لطيف الشهرزوري، دار الزمان للطباعة والنشر، دمشق، سوريا، ط١، ٢٠١٠م.

٩- جمالية التلقي – من أجل تأويل جديد للنص الأدبي، هانز روبرت ياوس، ترجمة: رشيد بنحدو، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

١٠- فاطمة بضعة مني، حسين الشاكري، المؤسسة الإسلامية للتبليغ، إيران، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

١١- فاطمة الزهراء من المهد إلى اللحد، محمد كاظم القزويني، مؤسسة النور للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩١م.

١٢- فدك – أبعادها دلالاتها وامتداداتها، د. عبد المجيد فرج الله، دار المحبين للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

١٣- فدك في التاريخ، محمد باقر الصدر، مركز الأبحاث والدراسات التخصصية للشهيد الصدر، إيران، ط١، ١٤٢٥هـ.

١٤- القصيدة والنص المضاد، عبد الله الغذامي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩٤م.

١٥- مجمع البيان في تفسير القرآن، أمين الدين الفضل بن الحسن الطبرسي، دار القارئ ودار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩م.

١٦- مستويات السرد الإعجازي في القصة القرآني، شارف مزاري، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠١م.

١٧- مستويات السرد الوصفي القرآني –دراسة اسلوبية-، د. طلال خليفة سلمان، دار الرافد للمطبوعات، بغداد، ط١، ١٤٣٣هـ- ٢٠١٢م.

١٨- معاني النحو، د. فاضل صالح السامرائي، منشورات وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بيت الحكمة، د.ط، د.ت.

١٩- معترك الأقران في إعجاز القرآن، جلال الدين

السيوطي، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار الفكر العربي، د.ط، د.ت.
٢٠- معجم مصطلحات علم النفس عربي- فرنسي – انكليزي، إعداد د. عبد المجيد سالمي و د. نور الدين خالد وشريف بدوي، دار الكتاب المصري – دار الكتاب اللبناني، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.
٢١- نظرية التلقي – أصول وتطبيقات-، د. بشرى موسى صالح، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ١٩٩٩م.
٢٢- نظرية التلقي – مقدمة نقدية، روبرت هولب، ترجمة: عز الدين اسماعيل، كتاب النادي الثقافي الأدبي بجدّة، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
البحوث:
٢٣- أفق التوقع عند ياوس ما بين الجملة والتاريخ، د. خير الدين دعيش، مجلة المخبر، ع١، ٢٠٠٩.
٢٤- فعل القراءة وإشكالية التلقي، محمد خرماش، مجلة علامات في النقد، ع ١٠، ١٩٩٨م.
٢٥- قراءة في القراءة، رشيد بنحدو، الفكر العربي المعاصر، مج١، ع٤٨، ١٩٩٨م.
٢٦- المتوقع واللا متوقع في شعر محمود درويش، دراسة في جمالية التلقي، د. عبد الباسط الزيّود، مجلة جامعة أم القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها، ج١٨، ع٣٧، جمادى الثانية ١٤٢٧ هـ.
٢٧- نظرية التلقي تأطير ونموذج ، د. محمد دخيسي، موقع رابطة أدباء الشام على الرابط الآتي: www.odabasham.net.
٢٨- النظرية النقدية ومفهوم أفق التوقع، السيد إبراهيم، مجلة علامات في النقد، مج٨، ج٣٢، ١٩٩٩م.

بسم الله الرحمن الرحيم
اقرأ باسم ربك الذي خلق
خلق الإنسان من علق
اقرأ وربك الأكرم (٣) الذي علم بالقلم (٤) علم الإنسان ما لم يعلم (٥) كلا إن الإنسان ليطغى (٦) أن رآه استغنى (٧) إن إلى ربك الرجعى (٨) أرأيت الذي ينهى (٩) عبدا إذا صلى (١٠) أرأيت إن كان على الهدى (١١) أو أمر بالتقوى (١٢) أرأيت إن كذب وتولى (١٣) ألم يعلم بأن الله يرى (١٤) كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية (١٥) ناصية كاذبة خاطئة (١٦) فليدع ناديه (١٧) سندع الزبانية (١٨) كلا لا تطعه واسجد واقترب (١٩)
اقرأ